حوليات آداب عين شمس المجلد 52 (عدد يوليو – سبتمبر 2024)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

دور الشتات في اضعاف الوضع الحضارى لليهود

ثائر عمر عابد*

جامعة قطر كلية عقيدة تخصص الاديان وحوار الحضارات
ta1504752@qu.edu.qa

تاريخ الاستلام: 2024/04/29
تاريخ قبول البحث: 2024/05/22
تاريخ النشر: 2024/09/30

المستخلص:

إن الباحث في التاريخ اليهودي يدرك ادراكاً لا مجال للشك فيه أن اليهود لا يملكون حضارة ولكن ما هي أسباب انعدام الحضارة اليهودية مع العلم أن اليهود موجودون من القدم ويملكون الكثير من مصادر الاموال يعود تكوين الحضارات عبر التاريخ إلى أسباب كثير أهمها السعي لإنشاء حضارة فالحضارة الاسلامية، فمثلاً استمدت الأهمية من خلال الدين الاسلامي القرآن والسنة والحضارات السابقة كاليونانية والرومانية سعت الى انشاء حضارة بسبب إدراكها أن صاحب الحضارة يستطيع أن يملك وأن يغير وأن يؤثر، أما عن الدين النصراني فبقيت حضارته ضعيفة لأسباب كثيرة أهمها الرهبة وبالتالي الإنعزال عن الآخرين، وعدم تكوين حضارة وعدم الإهتمام أصلاً بتكوين حضارة، والدين اليهودي بعد كل البعد عن تكوين حضارة، أو بالأحرى كانت حضارته ضعيفة بسبب القومية والانعزالية والعرقية فضل اليهود العمل في التجارة والربا وما شابه ذلك، إذ أن طبع هذه الأعمال لا يتطلب إقامة في المكان ذاته لمدة طويلة والتعمير والعمران يحتاج غالبًا لمدة طويلة وحضارة قائمة ودولة منظمة فكما بينَّا فإن اليهود ليس لهم حضارة، وهذه نتيجة طبيعية للشتات اليهود، بل لا يكاد يوجد إسهام حضاري حقيقي يمكن نسبته إلى اليهود ككل أو كمجتمع كامل.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2024.

أهداف البحث: يسعى الباحث في بحثه إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. توضيح معنى الشتات
2. بيان اسباب الشتات اليهودي
3. التركيز على تاريخ اليهود
4. معرفة أثر الشتات اليهودي على العلاقة مع الآخر
5. توضيح اسباب عدم وجود حضارة يهودية

مشكلة البحث:

إن الباحث في التاريخ اليهودي يدرك ادراكاً لا مجال للشك فيه أن اليهود لا يملكون حضارة ولكن ما هي أسباب انعدام الحضارة اليهودية مع العلم أن اليهود موجودون من القدم ويملكون الكثير من مصادر الاموال

أسئلة البحث: تتلخص أسئلة الدراسة بالآتي:

1. ما المقصود بالشتات اليهودي
2. ما هو تاريخ الشتات اليهودي
3. ما هي آثار الشتات اليهودي
4. هل لليهود حضارة، وما هي اسباب ذلك

هيكل البحث

يتكون هذا البحث من تمهيد خمس مطالب وخاتمة

المبحث الأول : الموقف الدينى من الشتات

المطلب الأول : موقف التوراة واسفار العهد القديم

المطلب الثاني : موقف القران الكريم

المبحث الثاني: اسباب الشتات اليهودى

المطلب الأول:الاسباب اليهودية

المطلب الثاني: الاسباب الخارجيةغير اليهودية

المبحث الثالث:اهم مراحل الشتات

الملطب الأول: الشتات فى مصر

المطلب الثاني: الشتات فى اشور وبابل

المطلب الثالث: الشتات الرومانى

المبحث الرابع : اثر الشتات

المطلب الأول: الاثر الاجتماعى للشتات

المطلب الثاني: الاثر السياسى للشتات

المطلب الثالث: الأثر الثقافى للشتات

المطلب الرابع: الاثر الدينى للشتات

المبحث الخامس الاثر الحضارى للشتات

المبحث الأول: عدم الاستقرار والحياة فى الجيتو

المبحث الثاني: البعد عن العمل الزراعى

المبحث الثالث: تفضيل العمل التجارى لمناسبته للشتات

المبحث الرابع: البعد عن التعمير والعمران

المبحث الخامس: الشتات اللغوى وتاثيره الثقافى

المبحث السادس: اضعاف الاسهام الحضارى لليهود

خاتمة

تمهيد:

يعود تكوين الحضارات عبر التاريخ إلى أسباب كثير أهمها السعي لإنشاء حضارة فالحضارة الاسلامية، فمثلاً استمدت الأهمية من خلال الدين الاسلامي القرآن والسنة والحضارات السابقة كاليونانية والرومانية سعت الى انشاء حضارة بسبب إدراكها أن صاحب الحضارة يستطيع أن يملك وأن يغير وأن يؤثر، أما عن الدين النصراني فبقيت حضارته ضعيفة لأسباب كثيرة أهمها الرهبة وبالتالي الإنعزال عن الآخرين، وعدم تكوين حضارة وعدم الإهتمام أصلاً بتكوين حضارة، والدين اليهودي بعد كل البعد عن تكوين حضارة، أو بالأحرى كانت حضارته ضعيفة بسبب القومية والانعزالية والعرقية، ولكن يتبين للباحث أن هناك سبباً قوياً لضعف الحضارة ألا وهو الشتات اليهودي فقد حاولت في هذا البحث الوصول إلى أهم أسباب الشتات وأثره على الحضارة اليهودية بشكل خاص والحضارة العالمية بشكل عام .

المبحث الأول : الموقف الديني من الشتات:-

تشير كلمة "جالوت" أو "جولا" عند اليهود إلى المنفى، والمنفى القهري بالذات خارج "إرتس يسرائيل" أي فلسطين، مقابل المنفى الطوعي، كما تستخدم كلمة "الشتات" للإشارة إلى الجماعات اليهودية التي تعيش مشتتة بين الشعوب الأخرى، ويعني ذلك كله: وجود أعضاء الجماعات اليهودية المؤقت خارج فلسطين حتى تتحقق لهم الحالة الأصلية العادية والطبيعية بعودتهم إليها.

وتشكل عقيدة المنفى والعودة إحدى النقاط المحورية في الرؤية اليهودية إلى التاريخ والكون، وحسب هذه العقيدة فإن إله اليهود حكم على شعبه المختار بالنفي والتشتت في بقاع الأرض لسبب يختلف الحاخامات اليهود في تحديده، وستستمر حالة المنفى هذه إلى أن يعود "الماشيَّح" المخلص[1]، وعلى وجه العموم، يمكن القول بأن أعضاء الجماعات اليهودية قد قبلوا وجودهم في الأوطان التي كانوا يعيشون فيها، فقد تركت عقيدة النفي أثرها العميق على الوجدان اليهودي فأضعفت إحساس اليهود بالزمان والمكان، وأضفت طابعًا مؤقتًا على كل شيء، وربما ساعد اضطلاع اليهود بدور الجماعة الوظيفية واشتغالهم المستمر بالتجارة والأعمال المالية والربا، وانتقالهم من مكان إلى مكان دون الانتماء الكامل لأي مكان (فالجماعة الوظيفية توجد في المجتمع لكنها لا تصبح منه)، ربما ساعد كل هذا على استمرار عقيدة المنفى والعودة[2] وبالتالي استمرار الشتات على مر تاريخ اليهود.

هذا بالنسبة لعقيدة اليهود، أما الدين الإسلامي فقد تحدث عن هذه القضية من ناحيته أيضًا، فقد بين القرآن أن التفرق والخلاف والشتات والعداوة والبغضاء بين اليهود وبعضهم، وعدم اجتماع كلمتهم قدر كتبه الله عليهم، وأوضح السبب ببساطة ألا وهو تمردهم على أوامر الله وعصيانهم له، قال -تعالى- ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾[3] ، وقال ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾[4] ، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾[5] ، فهي عقوبة من الله لهم على عصيانهم وتمردهم عليه -جل وعلا-.

ولا ريب أن مراد الله الحقَ من الناس هو الاجتماع وعدم التنازع، قال -تعالى- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[6]، وأوضح القرآن الحل عند التنازع والخلاف، قال -تعالى- ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[7]، وقرن النزاع بالفشل والعصيان، قال -تعالى- ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾[8].

ولا ريب أن الطبع اليهودي المتمرد الذي ظهر على مدار تاريخهم، والذي أدى بهم إلى قتل الأنبياء وإهانتهم وتعذيبهم إذا هم حاولوا تقويمهم وإصلاحهم كان مقتضيًا لإنزال عقوبات الله عليهم، والتي منها الشتات وتقطيعهم في الأرض، فهو أمر حتمي في صفوفهم لا يمكن إنكاره، ولئن اجتمعت كلمتهم في بعض الظروف الطارئة كأن يجمعهم تسلط عدو عليهم يسومهم سوء العذاب كما فعل فرعون بهم، أو يتمكن من رقابهم أحد ملوكهم الحازمين كطالوت وسليمان، إلا أن هذا يكون في فترات متقطعة من تاريخهم سرعان ما تبرز بعدها الخلافات ويكون الشقاق.

المبحث الثاني: أسباب الشتات اليهودي:-

أ- الأسباب اليهودية:-

لابد عند مناقشة أسباب الشتات اليهودي من النظر إلى أساس طبيعة اليهود والذي أدى بهم لهذا الشتات ألا وهو "الانعزالية اليهودية"، وهي عبارة تفترض أن اليهود يعيشون في حالة عزلة عن الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيه، فهناك اتفاق على أن الانعزالية سمة أساسية وأنها لا علاقة لها بالحركات الاجتماعية التي يوجد فيها اليهود، وإنما يسببها شيء ما بداخلهم(9).

وينبغي الإشارة إلى أن مسألة العزلة هذه لا يمكن تعميمها على اليهود ككل، فعند البحث إطار الجماعات اليهودية يمكننا اكتشاف التنوع وعدم التجانس، وأن أعضاء الجماعات اليهودية انعزلوا عن بعض المجتمعات واندمجوا في البعض الآخر، وأنهم انصهروا في بعض المجتمعات وطُردوا من البعض الآخر، وهذه الظواهر يمكن تفسيرها من خلال مجموعة من الأسباب الحضارية والاقتصادية الخارجية التي تختص بمجتمع الأغلبية، والأسباب الداخلية التي تختص بأعضاء الجماعة، ومن أهم هذه الأسباب اضطلاع أعضاء الجماعات اليهودية بدور الجماعة الوظيفية الوسيطة في كثير من المجتمعات، والجماعة الوظيفية الوسيطة لا يمكنها أن تقوم بدورها إلا في حالة عزلة، إذ أنها تضطلع بوظائف مشينة أو بوظائف تتطلب الحياد والموضوعية مثل البغاء أو التجارة(10).

ومن أشهر حالات عزلة اليهود وجودهم داخل الجيتوات القسرية في أوروبا ابتداءً من أواخر عصر النهضة، ولكن العزلة وصلت قمتها في أوكرانيا حيث كان اليهود يشكلون جماعة وسيطة تمثل طبقة النبلاء الحاكمة في بولندا، وكانت عزلة اليهود في عدة مستويات:-

1- طبقية: جماعة تجارية مالية تمثل النخبة الحاكمة في وسط زراعي فلاحي وتساندها القوة العسكرية البولندية.

2- لغوية: جماعة تتحدث اليديشية في وسط يتحدث الأوكرانية.

3- ثقافية: جماعة ترتدي أزياءً وتأكل طعامًا يختلفان عن أزياء وطعام الفلاحين.

4- دينية: جماعة يهودية تمثل النبلاء الكاثوليك في وسط أرثوذوكسي.

وحينما تصبح العزلة على كل هذه المستويات فإنها عادة ما تكون متطرفة، إذ أن العزلة على مستوىً ما تدعم العزلة على مستوى آخر.

إذن ففكرة الانعزالية اليهودية التي تسيطر على اليهود هي أحد أهم الأسس التي بُني عليها هذا التفرق والتشتت، إذ لا يوجد عزلة عن مجتمع بغير أن تكون الجماعة المنعزلة موجودة فيه، فلا يمكن تصور انعزال جماعة عن مجتمعهم الخاص الكبير الذي يعيشون فيه.

ومن أسباب ذلك أيضًا: إحساس اليهودي الدائم بالنفي الأزلي، إذ يتم رصد أعضاء الجماعات اليهودية في العالم وتحركاتهم وكأن عندهم إحساسًا بالنفي الأزلي ورغبة دائمة في العودة، وكأن هذا الإحساس وهذه الرغبة هما جزء من جوهر يهودي ثابت ومن المكونات الأساسية لطبيعة اليهود البشرية، فاليهودي حسب هذا النموذج التفسيري هو غريب ينتقل من مكان لآخر.

ولا ريب أن ديدن اليهود الذي هو التمرد والعصيان هو ما أودى بهم إلى غضب الله عليهم ولعنهم، قال –تعالى– ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[11]،﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[12]، وهذا من الناحية الدينية، فكأن هذا تفسير سماوي لحالة الترحال التي تسيطر على اليهود.

ومن أسباب ذلك أيضًا: العداوة الداخلية في المجتمع اليهودي والتي تفشت بين أفراده وطوائفه، قال الله –تعالى– وقال ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾[13]،﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾[14]، ولا ريب أن هذا التنافر القوي بين أعضاء من المفترض بهم العيش في مجتمع واحد سيؤدي إلى طرد هؤلاء الأعضاء خارج المجتمع كله، مما يؤدي إلى الشتات والتنافر أيضًا.

ومن ذلك كثرة الخلاف بينهم وبين قياداتهم الفكرية والعسكرية والسياسية، ومن أمثلة ذلك أنهم ﴿آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[15]، واعترضوا على طالوت عند بعثه، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾[16]، ثم خالفوه لما أمرهم بترك الشرب من النهر ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾[17]، وغير ذلك.

ب– الأسباب الخارجية غير اليهودية.

الحروب التي شُنت ضدهم من الممالك التي جاورتهم والفتك الذي حصل بهم من الملوك الذين أسروهم، كما في النفي الآشوري والبابلي والشتات الروماني وغيره، قال الله ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (167) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾[18].

ومن ذلك عداوة وبغضاء كل من جاورهم لهم، ومن أمثلة ذلك ما يُعرف بالجيتو، وهو عبارة عن أحياء خاصة بهم في المدن، أُجبروا على العيش فيها قسرًا.

ومن ذلك أيضًا تقلب الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وغيرها في البلاد، فاليهود يعيشون كجماعات وظيفية، يقيمون في المكان لأهداف محددة يعملون على تحقيقها، فمهما تغيرت الأوضاع وآلت إلى مآل لا يمكنهم من تحقيق هذه الأهداف انتقلوا إلى مكان آخر تكون فيه الأوضاع مناسبة لأهدافهم.

المبحث الثالث: أهم مراحل الشتات:-

ينتقل بعض أعضاء الجماعات اليهودية من وطن إلى آخر بحثًا عن الرزق ولتحسين المستوى المعيشي بصفة عامة، أو لأسباب أخرى مثل التهجير والطرد أو الاضطهاد أحيانًا، وقد اتسمت حياة العبرانيين في عصر الآباء (منذ عام 2000 ق.م) بالتنقل البدوي من بلد إلى آخر وبالبقاء على حواف المدن أو على طرق التجارة، وفي هذه المرحلة استوطنت بعض العناصر العبرانية أرض كنعان وفي مصر دون أن تضرب جذورًا في أي منهما، وقد خرج العبرانيون من مصر أو هاجروا منها (عام 1645 ق.م) ليبدأوا فترة أخرى من التجوال في سيناء انتهت بالتغلغل العبراني في كنعان (عام 1189 ق.م) الذي أعقبته فترة من الاستقرار النسبي بعد قيام اتحاد القبائل العبرانية في شكل المملكة العبرانية المتحدة ثم المملكتين العبرانيتين: المملكة الشمالية والمملكة الجنوبية، وقد انتهت هذه المرحلة بالتهجير الآشوري ثم التهجير البابلي.

وبعد هذه المرحلة ينتهي التهجير ليبدأ اليهود في الانتشار في بقاع الأرض بوصفهم جماعات يهودية لا يربطها رابط سوى الانتماء إلى العقيدة الدينية الإثنية نفسها، وتبدأ هذه المرحلة حين فضَّلت أعداد كبيرة من اليهود الاستمرار في بابل مكوِّنة بذلك نواة أول جماعة يهودية تستقر خارج فلسطين بعد مرحلة التهجير البابلي.

ومن الممكن أيضًا الإشارة إلى الجماعة الصغيرة في جزيرة إلفنتاين التي كانت تشكل حامية عسكرية تحمي حدود مصر الجنوبية.

ثم قامت الإمبراطورية اليونانية بفرض هيمنتها على أجزاء كبيرة من البحر الأبيض والشرق الأدنى القديم (عام 332 ق.م)، وهو ما يسر عملية انتقال اليهود وانتشارهم، فاستقرت أعداد كبيرة منهم (كجماعات وظيفية استيطانية وقتالية ومالية) في مصر، وفي الإسكندرية على وجه الخصوص، كما استقروا في برقة وقبرص وآسيا الصغرى، وقد بدأ الانتشار في أوروربا الغربية في تلك المرحلة أيضًا.

وحين قضى الرومان على فلسطين كإحدى نقاط تجمع الجماعات اليهودية وأحد مراكزها، وحتى حين هدم تيتوس الهيكل (عام 70م)، لم يؤثر ذلك كثيرًا في حركة تدفُّق اليهود أو على شكلها، إذ أنها بدأت على أي حال قبل ذلك التاريخ، حيث استمر تدفق اليهود خارج فلسطين وإلى مختلف البلدان، خصوصًا أوربا وحوض البحر المتوسط، ويقال أن هجرة اليهود إلى الجزيرة العربية تعود إلى هذه الفترة أو بعدها، وقد تم طرد اليهود منها مع ظهور الإسلام، ولكن يبدو أن أعدادًا كبيرة لم تغادرها، كما أن الجماعة اليهودية في اليمن لم تتأثر بقرار الطرد، فقد بقيت أعداد منها واستمر وجودها حتى العصر الحديث، وفي أوائل القرن العشرين قام المستوطنون الصهاينة بتوطين عدد من يهود اليمن في فلسطين لسد حاجتهم إلى العمالة، ثم هاجرت أغلبيتهم عام 1948م إلى فلسطين، ولا تزال توجد بقايا من هذه الأقلية في صعدا وغيرها من المناطق[19].

أ- الشتات في مصر:-

بعد أن قضى الرومان على اليهود، تشتَّتوا في الآفاق، ولأن البلاد العربية كانت أرأف بلادٍ بهم فقد شهدت منذ القرن الأول الميلادي نزوحًا يهوديًا كثيفًا إليها.

وقد توجَّه قسم منهم إلى مصر وحلُّوا بين جماعاتهم في الإسكندرية من الذين كانوا قد سبقوهم إليها، وأقاموا حيًّا خاصًا بهم في المدينة عُرف بالحي الإسرائيلي، وكان شوكة حادة في خاصرة الجالية اليونانية التي جاورتهم في المدينة، والتي شهدت بسبب ذلك فتنًا طاغية وحروبًا قاسية بين الفريقين انتهت بطرد اليهود إلى الصحراء بعد أن سُحق معظم من كان منهم بالإسكندرية[20].

ويجدر الإشارة إلى أن البطالمة الذين حكموا مصر آنذاك كانوا ينظرون إلى الجماعات اليهودية كجماعات وظيفية استيطانية، قتالية وتجارية، يعتمد أمنهم على أمن الطبقة الحاكمة، ولذا فقد كانوا يشجعون اليهود على الاستيطان في مصر للعمل تجارًا ومزارعين وجنودًا مرتزقة وشرطة وموظفين وملتزمي ضرائب، وقد كان منهم قواد للجيش البطلمي.

وقد حقق اليهود نجاحًا اقتصاديًا في مجال الالتزام والتجارة والنقل البحري، فاحتكروا تصدير البردي والقمح والبلح، كما احتكروا نظام الالتزام وامتلكوا عددًا كبيرًا من الأساطيل التجارية.

كما ذكرنا فقد تركز أعضاء الجماعات اليهودية أساسًا في الإسكندرية حيث كانت مقسمة إلى خمسة أحياء، اثنان منها كان مخصَّصَين لليهود، ولكن وجودهم لم يكن مقصورًا على الإسكندرية إذ كانوا يوجدون في أماكن أخرى، ويُقال إن نحو جزء واحد من ثمانية أجزاء من سكان مصر كان من اليهود، إذ بلغ عددهم مليونًا بين سبعة ملايين ونصف المليون من المصريين، كما أن عددهم كان يفوق عدد اليهود في فلسطين، وهو ما كان يعني أن فلسطين لم تعد المركز السكاني لهم، لكن الهيكل ظل مع ذلك المركز الديني الأساسي.

وقد قام بطليموس الأول بأسر بعض اليهود وحملهم إلى الإسكندرية وشجع اليهود على الهجرة لقمع المصريين، أما بطليموس الثاني فيعد عصره أحد العصور الذهبية لليهود في مصر حيث تزايد معدل اندماجهم، فقد دعا إلى ترجمة العهد القديم فيما يُعرف بالترجمة السبعينية، وأعتق العبيد العبرانيين الذين أسرهم أبوه ووطنهم كمرتزقة في معسكرات اليهود باعتبارهم مستوطنين أو كتشكيلات عسكرية، أما بطليموس الثالث فقد وطَّن في الفيوم عددًا من اليهود في الأراضي المستصلحة كما كرس معبدًا يهوديًا باسمه، وفي عهد بطليموس الرابع زاد اعتماد البطالمة على العنصر اليهودي، ولكن أهم الفترات في العلاقة بين الجماعة اليهودية والبطالمة هي الفترة التي حكم فيها بطليموس السادس أو السابع "فيلوميتور" إذ اعتمد على العنصر اليهودي اعتمادًا كاملًا بعد أن فشل في صد هجوم سلوقي عليه، وحينما فتح أبواب مصر للاستيطان اليهودي زاد المرتزقة اليهود واشتركوا في إدارة الدولة[21].

وقد ظل أعضاء الجماعات اليهودية عنصرًا مواليًا للبطالمة وقريبًا منهم، وهم بوصفهم جماعة وظيفية، مالية وقتالية،كانوا محط كره الجماهير سواء اليونانية أو المصرية، ولا شك أيضًا أن المساعدة التي قدمها اليهود للقوات الرومانية الغازية في أعوام 55–48 ق.م ثم في عام 30 ق.م. ساهمت في تعميق حدة كره اليونانيين لهم.

ب– الشتات الروماني:–

لقد بدأ احتكاك اليهود بالرومان حين اتصل بهم يهودا الحشموني أثناء التمرد الحشموني في محاولة للحصول على تأييدهم، وبالفعل وُقّعت معاهدة بين الطرفين عام 161 ق.م اعترفت روما بمقتضاها بالقوة الحشمونية، وحينما وصل بومبي عام 65 ق.م إلى سوريا تولى حسم النزاع بين اثنين من أبناء الأسرة الحشمونية في صراعهما على عرش يهودا

الحشمونية، فأيد أحدهما وعينه ملكًا على أن يدفع الجزية لروما، وسحق تمرد الآخر ودخل القدس عام 63 ق.م وأصبحت مقاطعة يهودا بعدها وحدة سياسية ذات استقلال محدود وتابعة للحكم الروماني.

لم يدم الوضع على ذلك، إذ عهد الرومان بحكم فلسطين إلى صديقهم وصنيعهم هيرود (37 ق.م – 4م)، ولكنها وضعت تحت حكم روما مباشرة بعد موته، وقد ساد الهدوء بشكل عام في السنوات الأربعين الأولى بعد ميلاد المسيح بسبب قوة حكم الرومان واستقراره ولأن الرومان تركوا اليهود وشأنهم.

ولم يدم السلام الاجتماعي والتوازن الدقيق الذي فرضه الرومان، بل تفاقمت الأمور بعدها وتقلبت، حتى نشب التمرد اليهودي الأول ضد الرومان (66–70 م)، فأخمده تيتوس وحاصر القدس، وحين سقطت في يده قام بتحطيم الهيكل عام 70م وحوله إلى معبد "جوبيتر"، ولكن الرومان لم يسحبوا اعترافهم باليهودية كدين مستقل، ولذا فقد أعفي اليهود من عبادة الإمبراطور والواجبات الأخرى المفروضة على غير اليهود.

وبعد فترة من الهدوء، تجددت التمردات اليهودية في أطراف الإمبراطورية كافة، في بابل وبرقة والإسكندرية وقبرص (114–117م)، فأخمدها تراجان وقضى على الكثير منهم، ثم قام التمرد اليهودي الثاني عام 132م فقضت عليه القوات الإمبراطورية بعد أقل من ثلاث سنوات، وصدر أمر بهدم القدس.

وبالنسبة ليهود الإسكندرية، فقد تحولوا عن ولائهم للبطالمة وساعدوا الغزاة الرومان كما أسلفنا، ولاحقًا تدهورت الأحوال الاقتصادية في فلسطين والإمبراطورية ككل، وهاجر يهود كثيرون منها، كما أن أحوال يهود الإسكندرية أخذت في التدهور وتنصرت أعداد كبيرة منهم، وحينما تبنت الإمبراطورية الرومانية المسيحية ديانة رسمية عام 340م تحول اليهود إلى أقلية صغيرة ليست لها قيمة كبيرة وصاروا داخل إطار سياسي معادٍ لهم تمامًا.

ويجدر الإشارة إلى أن أكثر التخمينات مصداقية في عدد اليهود في الإمبراطورية الرومانية هو الذي يرى أن العدد كان ثمانية ملايين يهودي في القرن الأول الميلادي قبل تحطم الهيكل على يد تيتوس، وكان منهم حوالي اثنان ونصف مليون يهودي في فلسطين، وحوالي مليون يهودي في كل من مصر وسوريا وآسيا الصغرى وبابل، ويمكن أن نضيف إلى ذلك الجماعات اليهودية المتناثرة في إثيوبيا واليمن وقبرص وليبيا وإيطاليا واليونان، وهذه الأعداد تدل على أن الشتات اليهودي هو في واقع الأمر انتشار ناتج عن آليات تاريخية مركبة، كما تدل على أن أعدادًا هائلة من اليهود اندمجت عبر العصور وانخرطت أعداد كبيرة منهم في المسيحية، وإلا لما أمكن تفسير أن عدد اليهود في العالم عند بداية العصور الوسطى لا يزيد عن المليون.

المبحث الرابع: أثر الشتات:–

أ– الأثر السياسي للشتات.

لقد بعث الله الأنبياء في بني إسرائيل لتسوسهم، ومن الله عليهم بالملوك منهم حتى أقاموا لهم الدول التي ازدهرت وكان لها أضخم الدور في الخريطة السياسية آنذاك، غير أن الشتات دمر كل ذلك، فبعد أن كانت لهم دولة وكيان، كانت مملكتا اليهود في شمال وجنوب فلسطين بينهما من القتال والخصومات ما لم يكن بينهم وبين الوثنيين المحيطين بهم مما أدى إلى انتهاء الكيانين، بل وفي العهد النبوي وبعد أن استوطنوا المستعمرات حول يثرب، دخلت بنو قينقاع في حلف مع

الخزرج ودخل بنو النضير وبنو قريظة مع الأوس، وعندما يحدث القتال كان اليهود يناصرون حلفاءهم وربما وقع بينهم قتلى وأسرى.

وكما أسلفنا فقد أدى الشتات اليهودي إلى تقلبات واسعة جدًا في الشخصية السياسية لليهود، ودائمًا ما كان يقودهم باتجاه معين، فتارة كانوا هم الحكام والطبقة العليا التي غالبًا ما اضطهدت الطبقات الأدنى، وتارة كانوا محكومين أذلاء يلقون من الطبقات المتحكمة بهم أشد أنواع العذاب والخزي، وتارة يناصرون البطالمة ويتحولون أخرى إلى الفرس، وأحيانًا يعقدون المعاهدات والهدن وأحيانًا يحاربون ويتمردون، وربما انتصروا قليلًا وربما طُردوا في نهاية الأمر.

ب- الأثر الاجتماعي للشتات:-

أثر الشتات على المجتمع اليهود أيما تأثير، فرغم تشابه طبائع اليهود وصفاتهم الأصيلة، إلا أنه لوحظ وجود اختلافات بين المجتمعات اليهودية، وبرزت تلك الخلافات بعد الشتات عندما أنشأ اليهود مجموعة من المجتمعات اليهودية حول العالم، وكثيرًا ما كانت هذه المجتمعات بعيدة عن بعضها البعض، مما أدى إلى انعزالها عن بعضها بدرجة كبيرة ولمدى طويل غالبًا، مما أدى لتطور هذه المجتمعات تحت تأثير بيئاتها المحلية والسياسية والثقافية والطبيعية وغيرها، ويمكن اليوم ملاحظة هذه الاختلافات بين اليهود من خلال التعبيرات الثقافية التي يبديها كل مجتمع، بما في ذلك التنوع اللغوي اليهودي والاختلافات المطبخية والممارسات الطقوسية والتفسيرات الدينية وغير ذلك، وحتى أن ذلك يظهر جليًا في دولة إسرائيل، فرغم أن الهدف منها توحيد اليهود وجمعهم إلا أنك تجد في مجتمعهم اختلاف بل وصراع بين الثقافات والأفكار المختلفة.

وكما أسلفنا فإن التقلبات التي كانت تحصل في البلاد التي عاشت فيها جماعات اليهود بالإضافة إلى تقلبات أعضاء الجماعات اليهودية أنفسهم أدت جميعها وبشكل دائم إلى تغير في النظام الاجتماعي لليهود، فتارة كانوا في الطبقة الحاكمة وتارة في الطبقة المحكومة، وتارة كانت لهم مقاليد الأمور وتارة تراهم مضطهدين مستضعفين، وتارة يكونون في طبقة متوسطة وغير ذلك من التقلبات التي كانت تقع باستمرار على المجتمعات اليهودية تبعًا للظروف التي عاشوا فيها.

ج- الأثر الثقافي للشتات:-

كلمة "ثقافة" لها معنيان:-

أ- معنى متسع: أسلوب الحياة في المجتمع بكل ما ينطوي عليه من موروث مادي ومعنوي حي.

ب- معنى ضيق: الأنشطة الإبداعية المتميزة في الآداب والفنون الأدائية والتشكيلية.

وسوف نستخدم الكلمة بكلا المعنيين عند الحديث عن الثقافة اليهودية، إذ أن الكتابات التي تناولت أعضاء الجماعات اليهودية أشارت بهذا المصطلح إلى حضارة يهودية مستقلة وثقافة يهودية مستقلة وتراث يهودي مستقل عن حضارة وثقافة وتراث المجتمعات التي يُوجد أعضاء الجماعة اليهودية فيها، وأن إسهامات اليهود الحضارية المختلفة سواء في بابل في العصور القديمة أو في فلسطين في العصور الوسطى، في الغرب أو في بولندا والهند والصين في القرن السادس عشر أو في ألمانيا في القرن التاسع عشر أو في الولايات المتحدة واليمن في القرن العشرين، ورغم تنوعها الحتمي والمتوقع تعبِّر عن نمط واحد (وربما جوهر يهودي) واحد.

وفي الحقيقة يمكن القول بوجود تشكيلين حضاريين يهوديين يتمتعان بقدر محدود من الاستقلال عما حولهما من تشكيلات حضارية، هما:-

أ- الثقافة العبرية القديمة، والتي تمتعت بقدر من الاستقلال داخل التشكيل الحضاري السامي في الشرق الأدنى القديم، غير أن هذا الاستقلال كان محدودًا بسبب بساطة الحضارة العبرانية وضعف الدولة العبرانية وتبعية الدولتين العبرانيتين للإمبراطوريات الكبرى في الشرق الأدنى القديم، مما أدى إلى تبعية ثقافية ودينية لهم أيضًا.

ب- الثقافة الإسرائيلية (أو العبرية الحديثة)، وهذه الثقافة مستقلة ولاشك عن التشكيل الحضاري العربي، ولكنها مع هذا لا تزال جديدة لم تكتمل مفرداتها الحضارية بعد، كما أن الصراع الثقافي الحاد بين عشرات الجماعات اليهودية التي انتقلت إلى إسرائيل ومعها تقاليدها الحضارية جعلت بلورة مثل هذه الثقافة أمراً عسيرًا.

وبخلاف هاتين الحضارتين، لا يمكن الحديث عن ثقافة أو حضارة يهودية مستقلة أو شبه مستقلة، فاليهود مثلهم مثل سائر أعضاء الجماعات والأقليات الدينية والعرفية الأخرى، يتفاعلون مع ثقافة الأغلبية التي يعيشون وسطها ويستوعبون قيمها وثقافتها ولغتها، إذن فلا توجد ثقافة يهودية مستقلة عالمية تعبر عن وجدان أعضاء الجماعات اليهودية وسلوكهم، وإنما توجد ثقافات يهودية مختلفة باختلاف التشكيل الحضاري الذي يوجد أعضاء الجماعات اليهودية بداخله، ولا ريب أن هذا ببساطة أحد نتائج الشتات اليهودي.

د- الأثر الديني للشتات:-

لا ريب أن الخلاف والتنازع الديني عند اليهود هو أحد أسباب الشتات وليس العكس، إلا أن الشتات بدوره أثَّر على الحياة الدينية لليهود، فتزامن مع طردهم من مملكتهم تدمير بيت المقدس ومعبد اليهود مرتين، ليصبح ذلك تدهورًا لقبلتهم الدينية، كما أن تنازعهم فيما بينهم أدى لانقسامهم إلى طوائف دينية متناحرة كل منها يحمل معتقدات يزعم أنها دينية صائبة ويحارب بها الطوائف الأخرى.

ولتفصيل ذلك يمكن النظر إلى ترتيب الأحداث منذ تدهور المملكة الداودية التي حكمها داود ومن بعده ابنه سليمان، ثم بدأت في التدهور والانقسام بعد ذلك إلى مملكتين هما يهودا وإسرائيل، وبدأت هاتان المملكتان اللتان حملتا معتقدات دينية متغايرة في صراع دام لمئتي سنة، فبعد وفاة سليمان لم يقم لمملكته من يجمعها ويضبطها كما فعل هو وأبوه، فمع التدهور السياسي لها برز الخلاف الديني والزيغ عن عقيدته، وتطور الأمر بالصراع لأجل هذه المعتقدات الدينية التي اختلفوا فيها والمعاداة والموالاة من أجلها مما أسفر عن مزيد من الشقاق والانحرافات عند الطرفين[22].

وبمرور الزمن وبدأ عصر المنفى، بدأ يتبلور دين اليهود الذي اختص بهم واختصوا به، وبدأ يتشكل من بقايا الدين الذي كان عندهم، فأخذ عصر المنفى هذه البقايا وذكاها وبدأت تترسخ في قلوب وعقول أفراد الجماعات اليهودية، فأنتجت لنا هذه المعتقدات اليهودي المنفي الذي تحدثنا عنه سلفًا.

ولا ريب أن الأمر استمر في التطور والتحريف إلى عصرنا هذا، والذي يظهر فيه جليًا الخلاف بين الجماعات اليهودية في المعتقدات الدينية كل بحسبه.

5المبحث الخامس: الأثر الحضاري للشتات:-

وكملخص لما سبق، يمكن الحديث عن بعض النقاط التي اتضح فيه أثر الشتات في حضارة اليهود ككل، وما أدى إليه من تدهور هذه الحضارة، أو إن شئت فقل بلورتها وتشكيل أهلها بشكل معين يلائم طبيعة الشتات ويتماشى معه، فمن ذلك ما يلي:-

أ- عدم الاستقرار والحياة في الجيتو:-

الشتات يقتضي ببساطة الحركة الدائمة والتنقل والترحال وعدم الاستقرار في مكان واحد، ثم أثناء هذا الترحال يقتضي أيضًا عدم الانخراط في المجتمع على الأصل، وهو ما يسمى بالعزلة اليهودية التي كانت اختيارية من اليهود أحيانًا وأحيانًا اضطرارية فيما يعرف بالجيتو.

ب- البعد عن العمل الزراعي:-

من آثار الشتات بعد أعضاء الجماعات اليهودية عن العمل الزراعي، فالعمل الزراعي كما هو معروف يحتاج إلى استقرار وإقامة في المكان لحرث الأرض وزراعتها وحصدها، وهو ما ينافي الشتات ويخالفه، فأدى ذلك إلى بعد اليهود عنه لعدم مناسبته لطبيعتهم، واختاروا اللجوء إلى أعمال أخرى أنسب لهم وأصلح لطبيعة حياتهم.

ج- تفضيل العمل التجاري لمناسبته للشتات:-

فضل اليهود العمل في التجارة والربا وما شابه ذلك، إذ أن طبع هذه الأعمال لا يتطلب إقامة في المكان ذاته لمدة طويلة، بالعكس فإن كثرة الحركة في هذه المجالات قد تكون أنفع لها وأنسب، وهو ما أدركه اليهود، لذلك فضلوا العمل في هذه المجالات على غيرها كالزراعة مثلًا.

د- البعد عن التعمير والعمران:-

التعمير والعمران يحتاج غالبًا لمدة طويلة وحضارة قائمة ودولة منظمة، ويمتد عبر أجيال تقيم جميعًا في نفس المكان وتعمل على تنميته، وهو ما يخالف مفهوم الشتات تمامًا لذلك فضل أعضاء الجماعات اليهودية البعد عنه.

هـ- الشتات اللغوي وتأثيره الثقافي:-

كما أسلفنا فإن اليهود كعادة كل الأقليات كثيرًا ما اختلطوا بالمجتمعات التي عاشوا فيها وتأثروا بها، مما أثر على لغاتهم وثقافتهم بل ومعتقداتهم الدينية وغيرها.

ز- ضعف الإسهام الحضاري لليهود:-

كما بيَّنا فإن اليهود ليس لهم حضارة، وهذه نتيجة طبيعية للشتات اليهود، بل لا يكاد يوجد إسهام حضاري حقيقي يمكن نسبته إلى اليهود ككل أو كمجتمع كامل، بخلاف الإسهامات الضعيفة التي تُنسب إلى جماعات يهودية لا لليهود.

خاتمة:-

فضل اليهود العمل في التجارة والربا وما شابه ذلك، إذ أن طبع هذه الأعمال لا يتطلب إقامة في المكان ذاته لمدة طويلة والتعمير والعمران يحتاج غالبًا لمدة طويلة وحضارة قائمة ودولة منظمةفكما بينَّا فإن اليهود ليس لهم حضارة، وهذه نتيجة طبيعية للشتات اليهود، بل لا يكاد يوجد إسهام حضاري حقيقي يمكن نسبته إلى اليهود ككل أو كمجتمع كامل.

و لا بد من طرح سؤال مهم هل انتهى الشتات الآن والإجابة بحسب المخطط أدناه لاإحصائية تواجد اليهود عبر العالم تجيب فاليهود لم ينتهي الشتات عندهم وبقي هذا العقاب الإلهي موجوداً لكثرة معاصيهم وبعدهم عن الله

الدولة أو المنطقة	تعدد السكان اليهود	تعداد السكان الكلي	اليهود %	ملاحظات
الولايات المتحدة الأمريكية	**5,500,000 to 6,155,000**	301,469,000	1.8%-2.0	(est.)[6][7][8]
فلسطين	**5,393,400**	7,116,700	75.8%	[9]
أوروبا	**2,000,000**	710,000,000	0.3%	(less than)
فرنسا	**512,000 to 650,000**	64,102,140	0.8%	(تقريبي)[6]
المملكة المتحدة	**267,000**	60,609,153	0.4%	(2001 census)
جمهورية إيرلندا	**1,930**	4,234,925	0.046%	(2006 census) [10]
روسيا	**228,000**	142,400,000	0.15%	(Territory of the former الاتحاد السوفيتي. (est.)[6] Some estimates are much higher.)

وفي الختام أحمد الله –عز وجل– على ما وفقني إليه في هذا البحث المختصر، وقد بذلت فيه وسعي مسترحمًا الله الكريم ومستعينًا به، وحاولت جهدي أن أجمع أكثر المعلومات دقة وصحة وأنتقي أفضل الجمل والكلمات للتعبير بشكل شامل عن المراد، فما كان في هذا البحث من توفيق فالحمد لله عليه وحده، وما كان فيه من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان وأسأل الله –عز وجل– أن يغفره ليه، والحمد لله رب العالمين.

Abstract

The role of the diaspora in weakening the cultural status of the Jews

By Thaer Omar Abed

The researcher in Jewish history realizes, beyond any doubt, that Jews do not possess a civilization. However, what are the reasons for the absence of Jewish civilization, despite the fact that Jews have existed since ancient times and have access to considerable financial resources? The formation of civilizations throughout history can be attributed to many factors, with one of the most important being the pursuit of establishing a civilization. Islamic civilization, for example, derived its significance from the Islamic religion, the Quran, the Sunnah, and preceding civilizations such as the Greek and Roman civilizations. It sought to establish a civilization because it realized that the possessor of civilization could possess, transform, and influence. As for Christianity, its civilization remained weak for many reasons, primarily due to asceticism, resulting in isolation from others, and a lack of interest in forming a civilization in the first place. Judaism, on the other hand, was far from forming a civilization, or rather, its civilization was weak due to nationalism, isolationism, and ethnic factors.

The Jews preferred to engage in trade, usury, and similar activities, as these occupations did not require long-term settlement in one place, and urbanization and construction often necessitate a long time and an established civilization and organized state. As we have demonstrated, the Jews do not have a civilization, which is a natural result of the Jewish Diaspora. There is hardly any real civilizational contribution that can be attributed to the Jews as a whole or as a complete society

الهوامش

([1])موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، ط: الأولى، 1999م، الجزء 2، ص:95.

([2])السابق، ص: 96.

([3])الأعراف: 168.

([4])المائدة: 64.

([5])الحشر: 14.

([6])الأنفال : 46.

([7])النساء : 59.

([8])آل عمران : 152.

([9])موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، ط: الأولى، 1999م، الجزء:2، ص:66.

([10]) السابق.

([11]) المائدة : 26.

([12]) آل عمران : 112.

([13]) المائدة : 64.

([14]) الحشر : 14.

([15]) الأحزاب : 69.

([16]) البقرة : 247.

([17]) البقرة : 249.

([18]) الأعراف : 167 – 168.

([19])موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، ط: الأولى، 1999م، الجزء 2، ص:104-108 باختصار وتصرف يسير.

([20])التاريخ الحقيقي لليهود منذ نشأتهم وحتى الآن: نجيب زبيب، دار الهادي، ط: الثالثة، 1428ه-2007م، ص: 231.

([21])موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، ط: الأولى، 1999م، الجزء 4، ص: 204-205.

[22]أصول الصهيونية في الدين اليهودي: د/إسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة وهبة، ط: الثانية، 1408ه-1988م، ص: 55-66باختصار وتصرف.

[22]المراجع:-

- القرآن الكريم.
- أصول الصهيونية في الدين اليهودي: د/إسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة وهبة، ط: الثانية، 1408ه-1988م.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، ط: الأولى، 1999م.
- التاريخ الحقيقي لليهود منذ نشأتهم وحتى الآن: نجيب زبيب، دار الهادي، ط: الثالثة، 1428ه-2007م.
- أصول النيو-صهيونية ومستقبلها: إيلان بابه، مجلة الدراسات الفلسطينية،ع: 108، خريف 2016م.
- الشخصية الإسرائيلية: د/حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1405ه-1985م.
- الصهيونية والحضارة الغربية الحديثة: د/عبدالوهاب المسيري، دار الهلال، مجلة كتاب الهلال، ع: 632، جماد آخر 1424ه-أغسطس 2003م.
- اليهودية واليهودية المسيحية: د/فؤاد حسنين علي، معهد البحوث والدراسات العربية.